



هذه مسرحية شعرية كتبها صاحبها بعد إصدار عدة مسرحيات كتب أكثرها بالشعر، ويبدو أنه قد أثر المسرح الشعري ولاء للفن، فهناك من يرى أن الشكل الشعري للمسرح أكثر ثراءً لأنه يؤثر في المتلقي على مستويين يتآزران معاً للتأثير في هذا المتلقي؛ المستوى الدرامي، والمستوى الشعري، مما يضاعف من إحساس المتلقي بهذا العمل، وما يحققه من إثارة درامية.

مسرحية

عاشق في غير زمان العشق والمتغيرات

لأحمد بسيوني

والاجتماعية، التي تحاول مناقشة كثير من مشكلات الشباب: العمل والفراغ والزواج والسفر إلى الخارج، وكأن ما ينوء به هؤلاء الشباب من مشكلات وتناقضات، خاصة في انشغالهم بأعباء الحياة، ولهاثهم خلف أسباب المعيشة غير مهين للحب والعشق، الذي هو تعطش إنساني مشروع، بل هو حق كي تستقيم الحياة، وتتحقق العدالة فيها، ويفرغها السكن والرحمة والمودة كما أراد الله لها،

ولذلك فمما يحسب لهذه المسرحية اتخاذها الشكل الشعري وسيلة لتجسيد الواقع المعيش، وإبراز كثير من تفصيلاته، وبذلك تتحقق الواقعية الفنية خلال هذه المسرحية ذات الشعر السلس الذي ينساب في رقة ونعومة، تكشفان عن مقدرة المؤلف التي تجلت في أعمال فنية متعددة قصائد ومسرحيات وقصصا وروايات، و«التقابل» الذي يبرزه العنوان مهم جداً في الإشارة إلى بناء هذه المسرحية



د. سعد أبو الرضا - مصر

وهم بهذه الصورة عالة على أهلهم الذين كان من المفروض أن يقوم هؤلاء الشباب بمساعدتهم، أو على الأقل يكفون أنفسهم مؤونتها.

«وسط الحدث»

وعلاقة أمجد بهؤلاء الشباب علاقة وثيقة، يزورونه أحياناً، ويتجاذبون أطراف الحديث في أمور دنياهم، وخلال ذلك تتضح مشكلة أخرى يواجهها

قطاع آخر من شباب مصر، أولئك الذين ينصب اهتمامهم على السفر إلى الخارج توقعاً لمزيد من الرزق، وهؤلاء صيد ثمين للأفاكين وسماسرة السفر الذين ينصبون شباكهم لاستغلالهم، ووعدهم لهم بالسفر غير المشروع إلى خارج مصر عن طريق البحر خفية، فيتسللون إلى بعض السفن التي يخفيهم فيها بعض المارقين ممن لا حول لهم ولا طول في هذه السفن، أو يملؤون بهم زورقاً

بعيداً عن أعين الجمارك وحرس الحدود البحرية في مطروح أو السويس، فيصلون إلى ليبيا، وقد يصلون بعد جهاد أو تخف إلى إيطاليا، بعد أن يكون كل منهم قد دفع لمن عاونهم على ذلك خمسين ألفاً من الجنيهات التي استدانوها، وقد يتم القبض عليهم وتجريمهم، فإذا نجوا من ذلك فقد يلقيهم قبطان السفينة في البحر ويتخلص منهم، بعد أن قبض الثمن، وهذا ما حدث لطارق أخي خالد أحد أصدقاء أمجد، بينما نجا وهذان الذي كان معه، فقد كان ماهراً في السباحة حتى أنقذته سفينة أخرى عابرة.

وهي ملامح إسلامية كثيراً ما يهتم بها كاتب هذه المسرحية الأستاذ أحمد بسيوني.

وإذا كان قلة من الشعراء هم الذين يتعاطون المسرح الشعري فإن قلة من هذه القلة هم الذين يوظفون الشعر للتعبير عن الواقع المعيش دون اعتماد على التاريخ أو الأسطورة.

«الشخصيات وبداية الحدث»

والكاتب حريص على الشكل الأسطوري للمسرحية، فالحدث الدرامي هنا فعل له بداية ووسط ونهاية، من ثم فهو يتسع لكشف شخصية «أمجد» الشخصية الرئيسية التي ربما يكون لها من اسمها صفات كثيرة، فهو شاعر رقيق الحس، يعمل أميناً لمكتبة الجامعة وله أصدقاء يحبونه ويحبهم، وهم مثله من خريجي الجامعة وإن كان هو أكثرهم تفوقاً، وكذلك عين في وظيفة حكومية، بينما هم

بدون عمل، في انتظار أن يشملهم التعمين إن أتيح لهم ذلك، وهم بموقفهم هذا يمثلون مشكلة معظم شباب مصر الذين تخرجوا في الجامعة ولا يجدون العمل الحكومي، فوعي كثير من الناس في مصر مرتبط بمقولة: «إن فاتك الميري تمرغ في ترابه»، ولأن كثيرين من أبناء الشعب من طبقة البروليتاريا، وليسوا برأسماليين ولا برجوازيين.

من ثم فمنهم من يقضي وقته جلوساً على المقهى، ومنهم من يتجول بائعاً بعض الملابس، أو قد يحترفون بعض المهن اليدوية التي قد لا تحقق لهم الكفاف،



أحمد بسيوني



فإن نجت الرحلة المزعومة من عواصف البحر وتقلباته المميتة أو نجا مغامروها من غدر قباطنة السفن، كانت نهايتهم في البلد الأوروبي الذي يمسكهم فيه حرس الشواطئ لتسللهم إليه.

بل إن هاشما آخا أمجد، قد ذهب إلى فيينا باحثاً عن رزقه في غربته، فالكمل يهرب، وهكذا يصدم هؤلاء الشباب حديثو العهد بالتخرج في الجامعة، نتيجة متغيرات الواقع وما فيه من فقر وعوز وضيق ذات اليد، وبطالة تهيمن على معظمهم، فلا يجدون إلا الملل والضيق والكآبة، والفراغ القاتل، والبحث

عما يشغلهم، وقد ينصرف بعضهم إلى العبادة التي تصل إلى حد التطرف وسوء الفهم للدين، وفي ذلك ما فيه من خطر عليهم وعلى المجتمع والأمة.

«الشباب والزواج»

ثمة جانب مهم يتعلق بهؤلاء الشباب وعلاقتهم بالجنس الآخر، وهو يشكل قسماً كبيراً من حدث هذه المسرحية، يقوم على «التقابل»، أحد طرفيه «مصلح» وهو مفسد، فقد اتهمته إحدى النساء بالتحرش الجنسي بها، وقبض عليه، وسجن حتى أفرج عنه بكفالة، وقد أخذ درساً، ولذلك فقد نصح بقية أصدقائه بالحذر، وإن كان ما يزال يتطلع إلى إشباع هذه الرغبة بالزواج، ففسى أن يتحقق، وهي رغبة عند كثيرين من هؤلاء الشباب، لكن ما يسود الواقع من ضيق ذات اليد والبطالة والعوز يهدد آمال هؤلاء الشباب وطموحاتهم المشروعة في الحياة السوية المستقيمة.

نهاية الحدث:

أما الطرف الآخر من «التقابل» فيمثلهم شخصية أمجد باستقامته وأخلاقه، وقد اتصل «بريينة»

التي التقى بها مصادفة في حديقة الشاطئ العامة، وتبادلا المشاعر بصورة مبدئية، لأنها كانت مخطوبة لابن خالها وهو شخصية غير ناضجة في نظرها، وقد شغلت هذه العلاقة أمجد بريينة، وأصبح حديثهم عنه وعلاقته بها، شاغلاً للجميع، -بالجد تارة، وبغير ذلك تارة أخرى، خاصة عندما يتصل يتدخل مصلح - قبل القبض عليه - متباهياً بخبرته المزعومة بالنساء التي لا يتمتع بمثلها أمجد أو أي أحد من الرفاق في نظره.

«النهاية المأساوية والعقدة والحل»

أما أمجد نفسه، فقد كان جادا في مشاعره، وقد التقى بها عدة مرات، إلى أن انقطعت، وساءت حالته، حتى دهمه المرض بسبب انشغاله بمن يحب، دون أن تحقق هذه العلاقة، وما أحاط بها من مشاعر متأججة أهدافها، فهي حبيسة عدم الاتصال بينهما، بل قد تأكد ذلك عندما قرأ الجميع في الصحف حادثة ذهبت ضحيتها فتاة اسمها ريينة، مما ضاعف من سوء الحالة الصحية لأمجد، حتى شارف على الموت وتلك هي عقدة المسرحية وقمة تأزمها.

«انتساب المسرحية للدراما الحديثة»

أما الجانب الفكاهي الذي يقترن في المسرحية بالنهاية المأساوية ليشكلا انتسابها إلى الدراما الحديثة، فيمثله شخصية «مصلح» الذي ليس له من اسمه شيء، فهو مفسد، تؤكد مغامراته العاطفية المتعددة، وتباهيه بخبرته بالنساء والفتيات، وفهمه المزعوم لهن، قد تهاوى عندما قبض عليه بتهمة التحرش الجنسي بإحدى النساء. من ثم فقد كانت هذه المفارقة مثيرة للضحك، هي وكثير من تعليقاته على علاقات الشباب بالنساء والفتيات، وادعاءاته المتكررة بهذه الخبرة المزعومة، بينما الآخرون لا خبرة لديهم بهذا المجال، وهم في الحقيقة أفضل منه لأنهم التزموا جانب الأخلاق والاستقامة، فعصمهم ذلك، من ثم فقد كان ضحكهم عليه ومنه كثيراً، وهو الذي يرى «أن الحب خبل!»، بينما هو محروم منه.

«اللفة»

أما لفة هذه المسرحية فهي الشعر بجمالياته عندما يعانق الدراما، من ثم فقد كان تكثيف الصور

وبيئنا أمجد والرفاق معه يواسونه، وينتظرون الطبيب الذي ستعرض حالته عليه، بطرق بابه فتاتان إحدهما ربيبة التي فجعت بحالته، وعندما حاول الرفاق إخباره بمجيئها تفتح عيناه ليراها، لكن مفاجأة الفرع برؤيتها بعد طول استشعار فقدها تقضي عليه.

وهكذا تنتهي المسرحية هذه النهاية المأساوية، وقد تبدو نهاية درامية منطقية، وهي تكشف عما يعانيه هؤلاء الشباب من فقر وضياح وفقد وسوء حال، وهي مشكلات تستثير كل جهات الدولة مؤسسات ومسؤولين، كما تستثير أصحاب رؤوس الأموال والمشروعات كي يتعاونوا على تأمين حياة هؤلاء الشباب بتيسير سبل العمل لهم، بإيجاد المشروعات التي تستوعبهم.

والجمعيات الخيرية التي تساعدهم، كجمعية مساعدة الراغبين في الزواج، وهو مشروع اقترحه هؤلاء الشباب خلال المسرحية، لعل بعض الخيريين يلتفت إليه، ويرتبط ذلك المقترح بعدة لمحات إسلامية في المسرحية ليشكل توجهها مهما من توجهاتها الإنسانية.





وترابطها، وقوة تفاعل عناصرها كاشفا عن داخل الشخصيات، مينا مدى الصداقة بينهم، وقوة الحب بين أمجد وربينة، برغم أنهما «في غير زمان العشق»، لما في الحياة من معاناة، وما يواجهه الشباب من أزمات مادية ومعنوية، اقتصاديا وفكريا ونفسيا.

تأمل كيف يصف أمجد حبه وتجربته مع ربينة وهي تحكي لصاحبته لبنى ماذا قال لها:

- «أطلي وانظري نحوي

فقد يغتالني موجي

إذا لم تأت شطآنك».

كما تقول ربينة للبنى صاحبته أيضا واصفة مشاعره نحوها:

- «رأيت الصدق شفافا

بنبراته».

كما يقول هو واصفا ربينة لأصحابه:

- «رأيت دماء خديها

على الأزهار خجلانة

أطلت وهي في حذر

بعين الحب فتانة».

ولقد حققت هذه الصور المتأزرة كثيرا من أوجه الجمال فيها «بالتناسب» بين عناصر الصورة والموقف الذي قيلت فيه، والارتباط الموحى الثري بين ألفاظها، والأفكار التي تتضمنها، بالإضافة إلى المشاعر الإنسانية الفياضة التي تكشف عنها هذه الصور:

في الصورة الأولى: الاغتيال والموج والشطآن المنقذة.

وفي الثانية: الصدق، والشفافية، والنبرات الكاشفة عنه.

وفي الثالثة: الدماء والخجل والعين والفتنة.

ولتأتي هذه الصور جزافا فهي مرتبطة بعناصر المسرحية كاشفة عنها، فالأولى تمثل بداية الحدث والاتصال بين أمجد وربينة، والثانية تكشف وسط الحدث عندما جمع بينهما التجاوب، والأخيرة كشفت مدى قوة الارتباط بينهما، وغنى مشاعر الحب التي وثقت الاتصال بينهما، فإذا غابت ربينة عن أمجد، فقد كان المرض المميت والنهاية المأساوية.

وثمة ملاحظتان:

كثرة الأصدقاء في المسرحية قد تكون غير مسوغة دراميا، اللهم إلا إذا كانت مدعاة لتعدد الأصوات في بعض القضايا التي تناقشها المسرحية.

كما أن توظيف بعض مفردات اللغة أحيانا قد يكون بحاجة إلى مرجعية معجمية كي تضبط استخدامها: مثل لفظة «تشجيني» فهي من الشجا بمعنى الحزن، لا السرور كما استخدمتها المسرحية على لسان لبنى وهي تطلب من ربينة سماع أخبارها مع أمجد، وتريد أن تسر بذلك. وهذه ملاحظات هينة، لا تمس مقدرة هذا الكاتب المسرحي المتميز الواعد الذي يحتاج التفاتة مسؤولي المسرح ومخرجيه في مصر والعالم العربي كي يوضع هذا الكاتب ذو المسرحيات الست في المكان اللائم، ويأخذ حقه اللائق به في عالم المسرح والتمثيل للقضايا المعاصرة، والكشف عن هموم الأمة واهتماماتها ■

